العقیدة فی الاسلام

تالیف: امام احمد رضا خان البریلوی

العقيدة في الإسلام

تأليف

مولانا الإمام المحدث أحمد رضا خان الحنفى الماتريدى

ترجمه و حققه و خرج له و علق عليه

منظر الإسلام الهندى

من علماء الأزهر الشريف

كلمة رئيس مركز أهل السنة بركات رضا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, و الصلاة و السلام على سيد المرسلين, و على آله و أصحابه أجمعين.

و بعد :

يسر "مركز أهل السنة بركات رضا" أن يقدم إلى قارئه العربي كتاب " العقيدة في الإسلام" للإمام الفقيه المحدث الشيخ أحمد رضا خان الحنفى الماتريدى القادرى (..............) و الذى يعد إثراء للمكتبة الإسلامية , و مرجعا هاما في مجال العقيدة و التوحيد , و سوف يتلذذ القارى خلال قرأته بما أفاده الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في توضيح الأفكار الإسلامية و التوحيد الخالص و تمييز الطيب من الخبيث , و ذلك فإن الشيخ الإمام عبقري من عباقرة الهند , و نابغة من نوابغ الدهر , و موسوعة إسلامية عامة.

و قد بذل الأخ الفاضل السيد / منظر الإسلام الأزهري جهدا كبيرا في إخراج هذا الكتاب بشكل محقق مزود بالشروح و التعليقات .

يأمل المركز أن يكون الكتاب دعامة حقيقية لصون العقيدة و الحماية عن الفرق الباطلة. ـ فجزاه الله تعالى المؤلف و المترجم ـ .

عبد الستار حبيب الهمدانى

رئيس مركز أهل السنة بركات رضا

فوربندر , غوجرات , الهند .

الحمد لله المتعال , شأنه عن الكذب و الجهل و السفه و الهزل, و العجز و البخل , و كل ما ليس من صفات الكمال المنزه عظيم قدرته بكمال قدوسيته , و جمال سبوحيته , عن وصمه خروج ممكن أو ولوج محال , قوله الحق , و وعده الصدق و من أصدق من الله قيل , و كلامه الفصل و ما هو بالهزل , فسبحان الله بكرة و أصيلا , و لذاته القدم , و لنعته القدم , فلا حادث يقوم , و لا قائم يحول , و كلامه أزلي , و صدقه أزلي فلا الكذب يحدث ,ولا الصدق يزول , و الصلاة و السلام على الصادق المصدوق سيد المخلوق النبي الرسول الأتى بالحق من عند الحق لدين الحق و على وجه الحق و الحق يقول , فهو الحق و كتابه الحق بالحق أنزل و بالحق نزل , و على الحق نزول, و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له حقا حقا, و أشهد أن محمدا عبده و رسوله بالحق أرسله صدقا صدقا, صلواة الله و سلامه عليه و على آله و صحبه و كل من ينتمي إليه , و علينا معهم و بهم و لهم يا أرحم الراحمين [1] ــ أمين ــ .

نؤمن بأن الله سبحانه و تعالى صانع العالم , و واجب الوجود من الأزل إلى الأبد , و لا مثل له في ذاته , ولا في صفاته , و له الكمال المطلق, و هو جدير بالعبادة , و مستحق بالاستعانة , و هو خالق الكون , و إليه يرجع تدبير الكليات و الجزئيات في الخلق كافة , و له صفات ذاتية[2] من الحياة و القدرة و العلم و الكلام و السمع البصر و الإرادة , و يتصف بها من الأزل , و له صفات أخرى فعلية و نفسية و سلبية و إضافية [3] . و كان

1 قلنا الخطبة العربية من كتاب "سبحان السبوح عن عيب كذب مقبوح " للمؤلف العلام و هو كتاب قيم , كشف فيه عن عوار الفرقة المنحرفة عن الدين و التي تفوه عن صدور الكذب من الله تعالى.

2 ....

3 ....

على صفة كاملة قبل خلق الكون, و ما زال على تلك الصفة , و لا يزال عليهـــا إلى أبـــد الأباد .

و هو الذى يشفى المريض [4] و يزيل الألام , و يعطى الرزق [5] و يقدر على خلق ذلك و أما الشفاء بيد الطبيب , و إعطاء الملك الرزق , و الأسباب الأخـــرى الظـــاهرة و الخفية كالدعاء و تصرفات الأنبياء و أعمال الأولياء إنما يعدو سببا[6] , و على هذا يطلـــق على الطبيب شافي الأمراض , و على الملك معطى الرزق , و على الأنبياء مزيل الهموم ..

---

4 يقول الله سبحانه و تعالى ﴿و إذا مرضت فهو يشفين﴾ (الشعراء : 80) .

5 ﴿ما أريد منهم من رزق و ما أريد أن يطعمون﴾ ـــ ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المـــتين﴾ (الذريت : 57,58)

6 يعيش العا لم الإنساني ما بين الأسباب و الوسائط و من هنا نجد أيات كثيرة و أحاديث عديدة تحرضنا على اختيار الأسباب يقول تعالى : ﴿ و هزي إليك بجزع النخلة تسقط عليك رطبـــا جنيا﴾ (مريم : 25) و يقول الرسول الكريم ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ فيما أخرجـــه الإمام أحمد بن حنبل و البخاري و مسلم من حديث على بن أبي طالب ـــ رضى الله تعالى عنه ـــ قال : كان النبي ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ في جنازة فأخذ شيئا فجعل ينكت بـــه الأرض فقال : ما منكم من أحد إلا و قد كتب مقعده من النار و مقعده من الجنة , قالوا : يا رسول الله ! أ فلا نتكل على كتابنا و ندع العمل , قال : إعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة و أما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة , ثم قرأ : ﴿ فأما من أعطى و اتقى و صدق بالحسنى . ﴾

راجع مسند أحمد بن حنبل ....

و البخاري ....

و مسلم ....

إنه تعالى حكيم في كل ما يفعل [7] و من هنا تصدر منه تلك الصفات و الأفعال المذكورة من وراء الأسباب , و من المعلوم أن هناك أشياء كثيرة تتعلق بصفات الله تعالى القديمة [8] كوسائل الكسب و تدبيرات الأمور , و شفاء الأمراض , و إعطاء الرزق ..

كما أننا لا نشك في أن تصرفات الأنبياء و دعا الأولياء و كلام المقربين مظهر من المظاهر الربانية , و منحة من المنح الإلهية , و هو ثابت عن طريق الشرع و الكشف , و من هنا يحكم بالكفر على من اعتبر الأسباب و الوسائط المحضة بعيدا عن القدرة الإلهية راميا الفاعل الحقيقي و راء عرض الحائط . و كذلك يكفر من خص القدرة الإلهية لبعض الأسباب دون البعض . كما أن نفي الأسباب بأسرها يدفعنا إلى القول بأبطال الحكمة للقديم , و نفض اليد عن السعادة الدينية و الدنيوية, و من كمال الإيمان أننا نعترف السبب الظاهر و الخفي بأنه واسطة لظهور الصفات الإلهية حتى لا نضيع فرصة الإستفادة منه .

إنه تعالى سبحانه لا يتصف بما هو محال بالنظر إلى ذاته و مختص بالممكنات [9] كاتصافه بالجوهر و العرض و الجسم و المكان و الزمان و الحركة و الانتقال و الجهل و الكذب و التغير في الذات و الصفات و كونه في الجهة [10] .

---

7 يقول الله سبحانه تعالى ﴿ و هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده و هو أهون عليه و له المثل الأعلى في السموات الأرض و هو العزيز الحكيم. ﴾ (الروم : 27)

8 ....

9 لان المحال يدل على النقص و التغير و هذا يطرأ على الممكن و الله تعالى قديم . قال الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى : ﴿ و تمت كلمة ربك صدقا و عدلا لا مبدل لكلماته و هو السميع العليم . ﴾ إعلم أن هذه الأية تدل على أن كلمة "الله" موصوفة بصفات كثيرة .. الصفة الثانية من صفات كلمة "الله" كونها صدقا و الدليل عليه أن الكذب نقص و النقص على الله تعالى محال . راجع مفاتيح الغيب 7 /168 . الأنعام :

قال كمال الدين ابن الهمام في "المسايرة" ../.. : يستحيل عليه تعالى سمات النقص كالجهل و الكذب. و في شرحه بل يستحيل عليه كل صفة لا كمال فيها و لا نقص لأن كل من صفات

لا تسمح ــ لن تسمح ــ الشريعة الإسلامية أبدا لأحد أن يتفوه على الصفات التي ورد ذكرها في القران الكريم كالاستواء على العرش و الضحك و الوجه و اليد [11]

الإله صفة كمال .. و قال التفتزاني في "شرح المقاصد" : لو جاز اتصافه بالحادث لجاز النقصان عليه و هو باطل إجماعا.. راجع المعتقد المنتقد ص :62 .

10 لأن معنى الجوهرى متمكن يستغنى عن المحل أو ماهية إذا وجدت ــ في الأعيان ــ كانت لا في موضوع فيكون وجوده زائد عليه و الواجب ليس كذالك ..

و أما عدم كونه تعالى عرضا لأن كل عرض محتاج إلى محل يقومه إذ لا معنى له سواء ذلك ..

و عدم كونه جسما لأن كل جسم مركب من أجزاء .. و كل مركب محتاج إلى جزئه و لا شيئا من المحتاج بواجب ..

و عدم كونه في مكان لأنه لو كان في مكان لكان محتاجا إليه ضرورة و المحتاج إلى الغير ممكن فيلزم إمكان الواجب .. راجع شرح المقاصد 65,66/2

و إذا بطل اتصافه تعالى بالعرض و الجوهر و الجسم و المكان لبطل بالضرورة اتصافه بالزمان و الحركة و الانتقال و الجهل و ذلك فإن هذه الصفات كلها دليل الحدوث و علامة التغير و هذا من خواص ممكن و الله تعالى قديم ..

و أما اتصافه بالكذب فلأنه محال بإجماع العلماء لأنه نقص باتفاق العقلاء و هو على الله تعالى محال لما فيه من إمارة العجز أو الجهل أو العبث .. المرجع السابق ص 104 .

و كذلك الواجب لا يوصف بالجهة كفوق و تحت و قدام و خلف و يمين و شمال إذ الجهات كلها نسبية ليس لها وجود حقيقي و إن افتردنا الوجود فهي حادثة بحدوث الأشياء و الله تعالى قديم ..

11 قال تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى﴾ (طه : 6) الإيمان بالاستواء واجب و إن جهلت حقيقة العرش و كيفية استوائه تعالى عليه .. يقول ابن الهمام : نؤمن بأنه تعالى استوى على العرش مع الحكم بأنه ليس كاستواء الأجسام من التمكن و المماسة و المحاذاة لها لقيام البراهين القطعية على استحالة ذلك في حقه تعالى , بل نؤمن بأن الاستواء ثابت له تعالى بمعنى يليق به سبحانه هو اعلم به , كما جرى عليه السلف في المتشابه من التنزيه عما لا يليق بجلال الله تعالى ما تفويض علم معناه إليه سبحانه و تعالى .. راجع المعتقد المنتقد ص : 70

كما أنها غلقت أبواب التكلم في الصفات الثمانية التالية[12] : السمع و البصر و العلم و الإرادة و الكلام و القدرة و الحياة و التكوين و إنما معانيها الحقيقي نفوضها إلى الله تعالى و نؤمن في مثل هذا ب" ليس كمثله شيء " .

لا يستطيع أحد من الأولياء أو الأنبياء الوصول إلى إدراك الكنه الإلهي و إنما يتشرفون في الدنيا ــ طبقا لمدارجهم بالتجليات الذاتية و الصفاتية .

و مما لا شك فيه أن أصحاب الجنة يتشرفون برؤية الله تعالى في الجنة بلا كيف و بلا جهة[13] .

الواجب و الله سبحانه و تعالى خالق الأفعال و الأعمال للعباد و بإرادته يصدر كل شيء و لكنه لا يرضى عن كفر العباد و معصيتهم[14] .

- الوجه : ﴿ كل من عليها فان و يبقى وجه ربك ذوالجلال و الإكرام . ﴾ (الرحمن : ..)
- اليد : ﴿ يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه .. ﴾ (الفتح : ..)

نؤمن بأن الله تعالى منزه عن اليد و الوجه و نفوض معنى هما إلى علم الله تعالى و نقول في مثله: ﴿ليس كمثله شيء و هو السميع البصير﴾ (000000000000)

12 000000000000000000000000000000000000

13 عن أبي هريرة ــ رضى الله تعالى عنه ــ قال : قال رسو الله ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب , و هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب قالوا : لا , يا رسول الله! قال : ما تضارون رؤية الله تعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما . راجع البخاري .. / .. و مسلم .... / ...

14 قال جميع العلماء : الرضاء بالقدر و القضاء فرض خيرا كان أو شرا و لا يلزم من ذلك شيء , قال المخالف لو كان الرضاء بالقضاء واجبا لوجب الرضاء بالكفر و هو باطل إجماعا لأن الرضا بالكفر كفر, و أجيب بأن للكفر نسبة إلى الله تعالى بإعتبار فاعليته له و نسبة إلى العبد بإعتبار محليته له و إتصافه به فإنكاره بإعتبار النسبة الثانية دون الأولى و الرضا به بإعتبار النسبة الأولى دون الثانية و الفرق ظاهر إذ لا يلزم من وجوب الرضا بشيء بإعتبار صدوره عن فاعله وجوب الرضا بإعتبار وقوعه صفة لشيء أخر . راجع المعتقد المنتقد ص 53 .

واجب الوجود هو خالق القدر خيره و شره فقد قدر كل ما يظهــر في حياتنــا اليومية و لكنه لا يحب و لا يرضى إلا عن الخير , و لا يلتفت إلى من يقول إن العبد قــد أصبح مجبورا بما قدر له في الأزل و ذلك فإنه تعالى جعله مخيرا بما هداه إلى طريــق الخــير و الشر [15] و هذا نستطيع أن نرى الفرق بين الإنسان المخير و الحجر و الــشجر فاقــدى الإرادة , و مما يرتكب العباد يطلق عليه الكسب في مصطلحات القوم و بناء علــى هــذا يستحقون العقاب و الثواب في الأخرة .

و قد أوقفتنا الشريعة الإسلامية عن البحث و الخوض في قضية القــدر و الجــبر و الإيمان بما فيه واجب , و أما الإنكار لهذه القضية يسبب إلى تكفير المنكــر و يــؤدى إلى الخروج عن الإيمان [16] إنه تعالى أحد صمد ليس عليه إيفاء شيء ما إلا أنه يــوفى الوعــد

---

15 ﴿و هديناه النجدين﴾ البلد :

16 قال النبي ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ : إذا ذكر القدر فأمسكوا رواه ابــن عــدى في الكامل..../... و الطبراني في الكبير ..../ ....

عن علي ـــ رضى الله تعالى عنه ـــ إنه خطب الناس يوما .. فقام إليه رجل ممن كان شهد معه الجمل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر؟ فقال : بحر عميق فلا تلجه , قال : يــا أمــير المؤمنين أخبرنا عن القدر ؟ قال : سر الله فلا تتكلفه , قال : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر ؟ قال : أما إذا أبيت فإنه أمر بين أمرين لا جبر و لا تفويض , قال : يا أمير المؤمنين إن فلانــا يقول بالاستطاعة ؟ و هو حاضرك فقال: علي به , فأقاموه , فلما رأه سل سيفه قــدر أربــع أصابع , فقال : الإستطاعة تملكها مع الله أو من دون الله ؟ و إياك أن تقول أحــدهما فترتــد فأضرب عنقك, قال : فما أقول يا أمير المؤمنين ؟ قال : قل أملكها بالله الذي إن شاء ملكنيها . راجع حلية الأولياء ....

لا يكون العبد مجبورا بما قدره الله تعالى له و ذلك فإن فكرة الجبر تخالف العدل و مما لا شــك فيه أنه تعالى عادل فوق كل عادل , و بالإضافة إلى ذلك نشاهد نحن في حياتنا العادية أننا نفعل بإختيارنا ما نريد و إلا تلغى النشاطات اليومية في حياة الإنسان , و يصبح العا لم معطلا مبوضا بلا عمل .. !!

بفضله , و لكل فعل له حكمة خالية عن الأغراض النفسية و الهوى الذاتي, و لا يجب عليه شيء و هو منزه عن القبح و الظلم و السفه و العبث . و يشرح صدور المؤمنين بفضله و يوفقهم إلى الأعمال و الإحسان, و يمنح الكافرين العقل و الحواس بعدله , و يوضح لهم أسرار إرسال الرسل إليهم و يحرمهم عن توفيق الوصول إلى الإيمان .

يجب على كل مؤمن أن يعتقد بالصور الستة الأتية للعدل و الفضل :

1ــ إن الواجب ليس بظلام لأحد .

2ــ لا ينقص شيء ما من أعمال العبد الحسنة .

3ــ لا يعذب أحدا إلا من ارتكب المعصية .

4ــ يوفر الأجر للمسلمين ــ من فضله ــ إن امتحنهم أو أوقعهم في المحن.

5ــ لا يجبر أحدا على طاعة أو معصية .

6ــ لا يكلف نفسا إلا بما في وسعه .

إنه تعالى واجب الوجود الذي جعل الأفعال موجبة للثواب و العقاب في الأخرة و لا مجال للعقل في أمره و هناك بعض الحكم و الأسرار التي تستطيع العقول إدراكها و أما في أكثرها تحتاج إلى إخبار الأنبياء .

صفات الواجب واحدة وحيدة فريدة كذاته متنزهة عن التشريك و غير متناهية لما لها علاقة بالذات, و من المعلوم أن المتعلقات كلها حادثة و يطرأ عليه الفناء و أما الصفات فهي قديمة .

و للواجب أسماء كثيرة [17] كما نعرف نحن بما ورد في النصوص الشرعية , و ينبغي للعبد أن يلجأ في دعائه و ذكره إلى تلك الأسماء [18] و كل هذه الأسماء الإلهية قديمة أزلية أبدية, و قد أجمع أهل السنة و الجماعة على أن كل اسم لم يرد ذكره في الشريعة الإسلامية

---

17 إن لله تعالى تسعة و تسعون قسما من أحصاها دخل الجنة .....

18 ﴿و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها و ذروا الذين يلحدون في أيائنا سيجزون بما كانوا يعملون﴾ (الأعراف : ..)

و فيه إهدار للكرامة الإلهية فإطلاقه على الله سبحانه و تعالى كفر, و كلامه قديم , و أما ما يتلفظ به العباد أو يكتبه فهي حادثة.

لا نرى أن قضية وحدة الوجود ــ طبقا لما شرحه المحققون ــ تخالف الشريعة الإسلامية و إنما هي توافق المنظور الإسلامي إلا أنه ما يجب علينا هو التفريق بينا مرتبة الإلهي و مرتبة الخلق و قد يحكم بالكفر على من لا يراعي هذا الجانب و يطلق الصفات اللازمة للخالق على الخلق , و كذلك يدخل في حكم الكفر من يصف الله تعالى بصفات لا تليق بذاته , و من كمال الإيمان أن نعتقد في مثل هذه القضية كما انكشفت على أئمتنا المسلمين و أوليائه الكاملين الملتزمين بالشريعة الإسلامية , و من لا يعتقد بتلك الشروط فكأنه حرم عن التوفيق ..

الإيمان بالنبي صلى الله تعالى عليه و سلم

أجمع المسلمون على أن النبي صلى الله تعالى عليه و سلم خاتم النبيين [19] و مؤخرهم و لم يأت و لن يأتي نبي في عهده و لا بعد عهده ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ و إلى هذا المعنى الإيمان تشير الأية " و لكن رسول الله و خاتم النبيين" و هذا بما علم من الدين بالضرورة, من استخرج من الأية الكريمة غير المعنى المذكور زاعما بأنه من مخيلات

19 ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم و لكن رسول الله و خاتم البيين و كان الله بكل شيء عليما﴾ (الأحزاب : ..)
أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة ــ رضي الله تعالى عنه ــ أن رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ قال : إن مثلي و مثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه و ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة لا يعيبون غيرها , فكنت أنا سددت موضع تلك اللبنة ختم بي البنيان و ختم بي الرسل . راجع صحيح البخاري 4 / 148 و صحيح مسلم مع شرح النووي 149/5 .

العوام و معتقدا بني أخر في عهده أو بعد عهده[20] ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ يحكم عليه بالكفر , كما يكفر من يحاول إثبات التفوق العلمي للخلق على علم النبي ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ و ذلك فإنه ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ أوسع الخلق علما و أكثرهم معرفة .

و قد بلغ إلى القمة في المجد و الكمال و له فضائل كثيرة ثابتة بالنص الصريح , و اعتراف بتلك الفضائل ركن ركين للإيمان , و لا يكون المؤمن مؤمنا و لا المسلم مسلما ما لم يصدق قلبه و يقر لسانه بتلك الفضائل و الكمالات , و توقير النبي ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ في كل لحظة هو مناط القبول للأعمال و العبادات , و قد عرفنا بالنص الحكيم أنه تعالى أخذ الميثاق من الأنبياء ــ عليهم السلام ــ كما أنه سبحانه و تعالى أخذ الميثاق لربوبيته من جميع أبناء أدم[21] .

لقد منح الله سبحانه و تعالى حبيبه المصطفى ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ بعض المغيبات و هى مجموعة من جميع علوم الأنبياء و الرسل و الملائكة و الأولين و

---

20 يقصد المؤلف العلام بتلك العبارة الشيخ قاسم النانوتوي الهندي و أتباعه الذي ذهب في كتابه "تحذير الناس" إلى أنه : لو فرض في زمنه ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ بل لو حدث بعده ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ نبي جديد لم يخل ذلك بخاتميته , و إنما يتخيل العوام أنه ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ خاتم النبيين بمعنى أخر النبيين مع أنه لا فضل فيه أصلا عند أهل الفهم

21 ﴿ و إذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب و حكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به و لتنصرنه قال أقررتم و أخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا و أنا معكم من الشاهدين . ﴾ (أل عمران : ..)

الأخرين و ما هو مكتوب في اللوح المحفوظ بما كان و ما يكون هو جزء من علم النبي[22] ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ

---

22 و للإمام أحمد رضا خان الحنفي رسالة مستقلة سماها " الدولة المكية بالمادة الغيبة " و قد أشبع فيها موضوع علم النبي ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ و لإفادة عامة رأينا أن ننقل من كتابه المذكور مبحثا خاصا يتعلق بهذه الجزئية الخاصة , و إليكم ما هناك :

... زهر و بهر مما تقرر أن شبهة مساواة علوم المخلوقين طرا أجمعين بعلم ربنا إله العالمين ما كانت لتخطر ببال المسلمين , أ ما ترى العميان أن علم الله ذاتي و علم الخلق عطائي , علم الله واجب لذاته و علم الخلق ممكن له , علم الله أزلي سرمدي قديم حقيقي و علم الخلق حادث , لأن الخلق كله حادث و الصفة لا تتقدم الموصوف , علم الله غير مخلوق و علم الخلق مخلوق , علم الله غير مقدور و علم الخلق مقدور و مقهور , و علم الله واجب البقاء , و علم الخلق جائز الفناء , علم الله ممتنع التغير و علم الخلق ممكن التبدل.

و مع هذه التفرقات لا يتوهم المساواة إلا الذين لعنهم الله و أصمهم و أعمى أبصارهم , فلو فرضنا أن زاعما يزعم بإحاطة علومه ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ بجميع المعلومات الإلهية فمع بطلان زعمه و خطأ وهمه لم تكن فيه مساواة لعلم الله تعالى لما ذكرنا من الفروق الهائلة التي لا تبقى لعلم المخلوق من علم الخالق إلا ع ل م *(أقول : أى رب غفرا هذا هو إيماننا بالله رب العالمين لا شريك له في ذاته ﴿ فعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ " 19/47 "﴿ لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد﴾ "112/ 3,4 " و لا في صفاته له الحمد ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ "11/42 " و لا في أسمائه ﴿هل تعلم له سميا ﴾ "65/19" و لا في حكمه ﴿ و لا يشرك في حكمه أحدا ﴾ "26/18" و لا في ملكه﴿و لم يكن له شريك في الملك ﴾ "111/17" و لا في ملكه ﴿ لله ما في السموت و ما في الأرض﴾ "284/2"﴿ و الذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾ "13/35" و لا في أفعاله ﴿ هل من خالق غير الله﴾ "3/35". و ما يرى من إطلاق إسم واحد عليه و على أحد من خلقه ـــ عزوجل ـــ كعليم حكيم كريم سميع بصير و نحوها , فبمجرد وفاق في اللفظ دون شركة في المعنى . و لذا قال الإمام القاضي عياض في "الشفاء الشريف" : يعتقد أن الله عزوجل في عظمته و كبريائه و ملكوته و حسنى أسمائه و على صفاته لا يشبه به شيئا من مخلوقاته, و لا يشبه به و

أن ما جاء مما أطلقته الشرع على الخالق و على المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما أن ذاته لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين..

ثم نقل عن الإمام الواسطي ــ رحمه الله تعالى ــ قال : ليس كذاته ذات و لا إسمه إسم و لا كفعله فعل و لا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ , قال : و هذا كله مذهب أهل الحق و السنة و الجماعة ــ رضى الله تعالى عنهم ــ .

قلت : و فيه إملاء الإمام حجة الإسلام الغزالي على إحيائه عن ابن عباس ــ رضى الله تعالى عنهما ــ ليس عند الناس من علم الأخرة إلا الأسماء . فما ظنك بصفات المولى ــ عزوجل ــ .

قال في "الفتاوى السراجية" و " التاتارخانية " و " منح الغفار" و " الدر المختار" وغيرها : التسمية بإسم يوجد في كتاب الله تعالى كالعلي و الكبير و الرشيد و البديع جائز لأنه من الأسماء المشتركة و يراد في حق العباد غير ما يراد في حق الله تعالى . (راجع الفتاوى السراجية , كتاب الكراهية و باب التسمية)

و قال إمامنا أبو يوسف ــ رحمه الله تعالى ــ : إن أفعل و فعيلا في صفاته تعالى سواء كما في " الهداية" قال في "العناية" : لأن إثبات الزيادة ليس بمراد في صفات الله تعالى لعدم مساواة أحد إياه في أصل الكبرياء حتى يكون أفعل للزيادة كما يكون في أوصاف العباد فكان أفعل و فعيل سواء . بل قد قال العلماء في غير ما موضع : إن اسم التفضيل كثيرا ما يراد به أصل الفعل من دون شركة منها قوله تعالى : ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا و أحسن مقيلا﴾ "24/25"..و لكن العجب ممن جعل تقسيمنا العلم إلى الذاتي و العطائي و إلى المحيط و غيره كلاما فلسفيا غير مقبول أهل الشرع مع كثرة من صرح به من الأئمة كما أكثرنا النقول عنهم في كتابنا " مالئ الجيب بعلوم الغيب (1318من الهجرة) " و ذكرنا طرفا صالحا منه في كتابنا "خالص الاعتقاد" و قد نقلته الرسالة المفتراة على الإمامين النووي و ابن حجر كما تقدم.

و ذكرف الفرق بأن علمه تعالى محيط لا علوم الخلائق عن الإمام حجة الإسلام الغزالي, بل صرحت به بنفسها كما سيأتي إن شاء الله تعالى لكن لما رأت القسمين تبطلان ما لها من احتجاج و تسدان عليها سبيل الحجاج أنكرهما هاهنا , و ابعت أن العلم الإلهي في النصوص

الشرعية إنما يراد به مطلق الإدراك و احتجت له بإطلاق "أعلم" عليه تعالى في آيات و في قولهم الله و رسوله أعلم . قال الرسالة : و من المقرر في العربية أن معنى أفعل التفضيل أن المفضل يشارك المفضل عليه مع اختصاص بزيادة في المعنى .

و هذه كلمة قالها , و لم يتأمل مآلها , و لو علم و بالها , لقال مالي . فإن فيها رزيتين كبيرتين .

الرزية الأولى : سله أن العلم و نحوه مما تذكره النصوص الشرعية و الآيات الفرقانية في حمده ـــ عزوجل ـــ هل هي صفات كمال لمولانا ـــ جل جلاله ـــ أو لا ؟ فإن قال نعم هو المرجو من كل من أسلم فقل أو لا : يا سبحان الله ممن يؤمن بالله و آياته ثم يشرك بـــه مخلوقاتـــه في صفاته و يتجاهر بأن الخلق شركاته فيها مع اختصاص الله تعالى بزيادة و عن أمثال هذا يغلب على الظن أن الرسالة إن كان لها أصل فقد حرفتها أيدي الوهابية , إذهم المجترءون بأمثال هذا كما أشركوا كل صبي و مجنون و حيوان و بهيمة في علم الغيب مع رسول الله ـــ صـــلى الله تعالى عليه و سلم ـــ و لا أرى أصل تلك الشبهة أعني تشريك الصفة بين الله تعالى و خلقه إلا من سلف الوهابية نمرود ﴿ إذ قال إبراهيم ربي الذي يحي و يميت , قال أنا أحيي و أميت ﴾ "258/2"

و ثانيا: حملت الصفات الإلهية على المعاني المصدرية و ما هي إلا من الأمور الانتزاعية الحادثـــة الفانية و صفاته تعالى عن ذلك متعالية و إن قال لا , فقح قرر أن النصوص الدينية و الآيـــات القرآنية حيث تحمد الله تعالى بالعلم و نحوه فلا تحمده بصفة كمالية لله عزوجل إنمـــا تحمـــده بشيء مبتذل حاصل لكل حسن و قبيح و شريف ووضيع و مؤمن و كافر هذا لا يجترئ بـــه مسلم بل تحمده بصفات رفيعة في ذاتها متعالية عن أعراض المحدثات و سماتها.

الرزية الثانية : حيث لم يرض إرادة الإحاطة أيضا فضلا عن الذاتية جاعلا لهما تفلسفا ساقطا عن الاعتبار في فهم معاني الكتاب و السنة , مخرجين لهما عن ظواهرها , مفضيين إلى عـــدم الوثوق بكثير من النصوص , موقعين للمسلمين في حيرة عظيمة , ناقضين عرى لدين الوثيقة و قرر أن ليس المراد فيها إلا مطلق الإدراك الشامل للخلق و المخلوق , فقد ترك الآيات تتناقض لما علمت أن القرآن العظيم أتى في علم المغيبات بكلا طرفي النفي و الإثبات و المراد عنده فيها هو مطلق الإدراك . فتوارد النفي الإثبات على معنى واحد و تمكن مخلب التنـــاقض في آيـــات

الرحمن و أي مصيبة أعظم من هذا؟ و كذلك كل من نابذ الحق فإن الباطل لا ينصره إلا الباطل . نسأل الله العافية .

بلية أخرى أمر و أدهى : وقع في الرسالة المفتراة أن المعلومات كلها بالنسبة إليه تعالى من عا لم الشهادة .

أقول : هذه زلة شديدة و حقه أن يقول الموجودات كلها لأن معلوماته تعالى تعم المعدودات التي لم تكتس الوجود و لا تكتسية أبدا لا و المحالات بأسرها كما نصوا عليه في كتب العقائد و لو كان المحال من عا لم الشهادة بالنسبة إليه تعالى لصار شاهدا مشهودا موجودا و أي شناعة أخنع من هذا؟ فإن فيه أنه تعالى يشاهد شريكه و موته و عجزه و جهله إلى غير ذلك من المصائب . تعالى عنها علوا كبيرا . و قد نص العلماء أن الرؤية تتوقف على الوجود و إن المعدوم غير مرئي لله تعالى . و إنما اختلفوا أنه تعالى هل يرى الموجود حين يوجد أم يرى في القدم كل ما يخرج إلى الأبد من العدم مع الإجماع على أن المحال لا تتعلق به رؤية ذي الجلال كما بيناه في " سبحان السبوح عن عيب كذب مقبوح" فتنبه فلعل هذه الزلات مثل ما حكت الرسالة في حق بعض الأئمة أنه قد كان يعتقد مذهب أهل السنة لكنه سها في هذه المسألة . نسأل الله العفو و العافية و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم.)

* أعني المشاركة الإسمية وحدها فكيف و قد أقمنا الدلائل القاهرة على أن إحاطة علم المخلوق بجميع المعلومات الإلهية محال قطعا عقلا و سمعا.

فالوهابية إذ سمعوا أتباع الأئمة يثبتون باتباعهم و اتباع القرآن و الحديث لرسول الله ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ علم جميع ما كان و ما يكون من أول يوم إلى آخر الإيام . حكموا عليهم بالشرك و الكفر و أنهم يدعون مساواة علمه ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ لعلم ربه ــ عزوجل ــ خابطون غالطون . و هم بأنفسهم في مهوى الشرك و الكفر ساقطون . لأنهم إذا زعموا في إثبات هذا العلم المحدود المحصور المعدود . المساواة مع علم الله فقد شهدوا أن علم الله تعالى ليس إلا بهذا القدر القليل الصغير النزر اليسير إذ لو زاد عليه عندهم فالزائد لا يساوي الناقص . فلم يحكموا بالمساواة لكنهم يحكمون . فبعلم الله يتهمكون, و بالنقص عليه يتحكمون . قاتلهم الله أنى يوفكون . نسأل الله النجاة من الفتون .

النظر الثالث : اللهم غفرا ترى الظلمات عمت و طمت . و كلمة التكال على كثير من الناس تمت . فبعا قررناه أن العلم الذاتي و المطلق المحيط التفصيلي مختص بالله تعالى و ما للعباد إلا

مطلق العلم العطائي و أنه حاصل لكل مؤمن فضلا عن الأنبياء الكرام متوهم أن لم يبق إذن فرق بيننا و بين نبينا ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ فما ظنك هو منتف عنا فهو منتف عنهم أيضا . فقد استوينا , و هذا و إن كان لا يصدر عن عاقل , فضلا عن فاضل , عن الوهابية غير بعيد , ذلك بأنهم قوم لا يعقلون و ليس منهم رجل رشيد ما لي أقدر و قد وقع , أما سمعت ذلك المتقشف المتصلف المتشيخ المتصوف , المتصدر المتكبر , منهم في زمننا من الهنود , الطغام العنود , صنف رسيلة لا تبلغ أربعة أصراق , تكاد تتفطر منها السبع الطباق , سماها " حفظ الإيمان" و ما هي إلا خفض الإيمان , صرح فيها بهذا القول , و لم يخء و بال بوة الأول , زيد , فالمسؤول عنه أنه ماذا أراد بهذا , بعض الغيوب أم كلها ؟ فإن أراد البعض فأي خصوصية فيه لحضرة الرسالة ؟ فإن مثل هذا العلم بالغيب حاصل لزيد و عمرو بل لكل صبي و مجنون , بل لجميع الحيوانات و البهائم , و إن أراد الكل بحيث لا يشذ منه فرد فبطلانه ثابت نقلا و عقلا . (حفظ الإيمان : جواب السؤال الثالث)

و لم يدر البعيد العنيد أن مطلق العلم العطائي بالمغيبات خاص إصالة بحضرات الأنبياء الكرام عليهم أفضل الصلاة و السلام , لقول ربهم جل و علا .

﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ﴾ "26,27/72" و قوله عزمجده ﴿ و ما كان الله ليطلعكم على الغيب و لكن الله يجتبي من رسله من يشاء ﴾ "179/3".

فما يحصل لغيرهم إنما يحصل بإفاضتهم و إمدادهم , و إفادتهم و إرشادهم فأنى التساوى؟ على أن غيره لا يعلم من علومهم إلا نزرا يسيرا لا يعد شيئا بجنب ما لهم من بحار متدفقة من العلوم الغيبة , فإنهم عليهم السلام يعلمون بل يرون و يشاهدون جميع ما كان و ما يكون من أول يوم إلى اليوم الأخر.

قال الله تعال : ﴿ و كذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات و الأرض ﴾ "75/6" .

و للطبراني في كبيره و نعيم ابن حماد في كتاب الفتن و أبي نعيم في الحلية عن عبد الله بن عمر الفاروق ــ رضي الله تعالى عنهما ــ عن النبي ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ قال : إن الله قد رفع لي الدنيا فأنا أنظر إليها و إلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنما أنظر إلى كفي هذه جليان من أمر الله تعالى جلاه لنبيه كما جلاه للنبيين من قبله ــ صلى الله تعالى عليه و سلم و عليهم أجمعين ــ (راجع حلية الأولياء ترجمة رقم : 338)

فالبعيد شقق بين الكل و البعض و إذا قد انتفى الأول و رأى الثاني شاملا للكل حكم بإستواء علوم رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ الذي وصل العالمين علما و حلما و علمه الله ما لم يعلم و كان فضل الله عليه عظيما . فعلم علوم الأولين و الأخرين و علم ما كان و ما يكون . و علم ما في السموات و الأرض و علم ما بين الشرق و الغرب و تجلى له كل شيئ و ثرف و نزل عليه القران تبيانا لكل شيئ و فصل الله له كل شيئ تفصيلا . ــ مع علم زيد (متعلق بقوله باستواء علوم رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ) و عمرو بل كل صبي و مجنون بل كل حيوان و بهيمة . و لم يدر الشقي أن البعض له عرض عريض شامل من قطيرة صغيرة ضئيلة ذليلة إلى ألوف ألوف بحار زواخر لا يدرى قعرها و لا لها حد و لا انتهاء . و ما الكل إلا من علومه تعالى لا يحيطون بشيئ من علمه إلا بما شاء.

فإن كان مجرد صدق لفظ البعض كافيا في التساوي و التماثل و نفي الخصوصية كما زعم الطريد البعيد . فليحكم بتساوي قدرة الله تعالى لقدرة (نحن معاشر أهل السنة و الجماعة نثبت القدرة الحادثة بعطاء المولى سبحانه و تعالى و إن كانت كاسبة لا خالقة و نفيها مطلقا إنما هو مذهب جهم بن صفوان الضال كما في المواقف و شرحه و قد قال تعالى : ﴿ او غدوا على حرد قادرين ﴾ "25/68" أي أصبحوا مجمعين على المنع مع كونهم قادرين على النفع .

قال العلامة أبو السعود في تفسيره إرشاد العقل السليم . المعنى أنهم أرادوا أن يتنكدوا على المساكين و يحرموهم و هم قادرون على نفعهم الخ (القلم : تحت الأية الكريمة)

و قال تعالى : ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيئ من فضل الله﴾"29/57" .

قال في تفسيرالكبير : القول الثاني أن لفظة لا غير زائدة فالضمير في ألا يقدرون عائد إلى الرسول ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ و أصحابه .و التقدير لئلا يعلم أهل الكتاب أن النبي و المؤمنين لا يقدرون على شيئ من فضل الله و أنهم إذا لم يعلموا أنهم يقدرون عليه و أعلم أن هذا القول أولى . مختصرا (راجع مفاتيح الغيب : الحديد : تحت الأية المذكورة)

فإن قيل إن القدرة الإلهية أزلية أبدية واجبة مؤثرة و لا كذلك قدرة العبد .

قلت : هذه أمور غير الكلية و البعضية و إنما الكلام فيها . فالبعيد هل يعتقد لعلم محمد ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ مزية ما على علم المجنون و البهيمة في صفات و كيفيات . و إحاطة و إفادات . جلالة وقع . جزالة نفع . و أولية في الإيجاد . و توسط في الإمداد . إلى غير ذلك من فروق عظيمة جسمية . كبيرة جليلة . كثيرة جزيلة . سوى البعضية المشتركة عنده أم

لا بل علمه لا يفضل عنده أصلا في شئ ما على علم المجانين و البهائم؟ على الثاني ظهر كفره ظهورا بينا . فإن الطريد البعيد يعترف لنفسه أيضا أن لعلمه مزايا على علم الثور و الحمير و الكلب و الخنزير و على الأول إذ قد بين نفي الخصوصية و الحكم بالتماثل على مجرد الاشتراك في البعضية مع إذعانه أن لعلومه ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ مزايا على علم هؤلاء من جهات أخرى لا تحاط كثرا . فالنقض بالقدرة الإلهية تام و لا يجدي ذكر الفروق بتلك المزايا الخارجية عن الكلية و البعضية فاعرف و افهم . و الله سبحانه و تعالى أعلم .) زيد و عمر و بل كل صبي و مجنون بل حيوان و بهيمة . فإن الحيوانات جميعا تقدر على بعض الأفعال و الحركات و إن لم تكن قدرتها مؤثرة (أي في الخلق و الإيجاد بإجماع أهل السنة و الجماعة . ـــ حفظهم الله تعالى عن كل شناعة ـــ و اختلفوا أنها هل لها أثر ما في شيء زائد على الوجود كنسب و إضافات و اعتبارات يسميها البعض حالا و الباقون لا ينكرون أن هناك أمورا اعتبارية لها قسط من الواقعية ليست بمجرد اختراع و هم كأنياب و أغوال و إن نازعوا في القول بالأحوال و إثبات واسطة بين الوجود و العدم . فالخلاف لفظي كما صرح به المحققون . فجمهور الأشاعرة نفوه مطلقا و ما عندهم من الفعل للقدرة الحادثة إلا معية و للعبد منه إلا محلية . الحنفية حسبوه لا يكفي لنفي الجبر فأثبتوا لها تأثير في القصد و هو أمر إضافي قطعا ليس من الموجود عينا فلا يكون استناده خلقا و تكوينا فإنه إضافة الوجود لا إضافة موجود لا عبرة بقدم زلت . و تأثيرها في الإضافات قد ارتضاه بعض كبراء الأشعرية أيضا كإمام السنة القاضي أبي بكر الباقلاني و لا أعلم على خلافه نصا و لا إجماعا و قد بينت كل ذلك في رسالتي " تجبير الخير بقصم الجبر 1329 من الهجرة" و أما أنا فلست ممن يخوض في هذا و إنما إيماني و لله الحمد ما ثبت بالقرآن و أجمع عليه الفريقان . و شهدت به البداهة و أدى إليه البرهان . أن لا جبر و لا تفويض و لكن امر بين أمرين و الفرق بين حركتي البطشة و الرعشة و الصعود و الهبوط و بالوثوب و السقوط . يشهد به الوجدان . لا يجله صبي و لا صبي و لا حيوان . و ليس للعبد من الخلق شيء جملة واحدة و ما يحس في نفسه من قدرة و إرادة و اختيار فإنما خلقها الله تعالى فيه . ما كان لهم الخيرة و لا قدرة أو إرادة يستبدون بها و ما الأولون و الأخرون . الله خلقكم و ما تعلمون . يثبت من شاء و الثواب فضله . و يعذب من شاء و العذاب عدله . و ما ظلمهم الله و لكن كانوا هم الظالمين . جزاء بما كانوا يكسبون . فالتكليف حق و الجزاء حق و الحكم عدل و الاعتراض كفر و الاستبداد ضلال و التحجر

جنون فنون , و لا حجة لأحد على الله مهما فعل و لله الحجة البالغة لا يسأل عما يفعل و هم يسألون . فهذا إيماننا و لا نزيد عليه . و إن سألتنا عما و راءه قلنا لا ندري و لا كلفنا به و لا نخوض بحرا لا نقدر على سباحته و نسأل الله الثبات على دين الحق و سذاجته , و الحمد لله رب العالمين .) فصدق البعض و الله تعالى متعال عن القدرة على نفسه الكريمة و صفات القديمة , و إلا لكان مقدورا فكان ممكنا فلم يكن إلها , و لكانت صفاته مخلوقات حوادث , إذ كل موجود بالقدرة موجود بالخلق و كل موجود بالخلق مسبوق بالعدم فصدق هاهنا أيضا لفظ البعض لانتفاء الإحاطة بجميع الأشياء فلزم التساوي, مع جميع المساوي , و سأضرب لك مثلا : ملك جبار ملك الدنيا بحذافيرها , و ملك الخزائن بنقيرها و قطميرها, و له نواب و أمراء سلطهم على خزائن قطر قطر . ليعينوا المحتاجين , و يتصدقوا على المساكين , و أمر عليهم جميعا خليفة أعظم , ليس فوقه إلا الملك الأكرم , فجعل خزائنه جميعا طوع يديه , و أمر الكل مفوضا إليه , إلا خاصة نفسه , فهو يقسم على النواب و الأمراء و هم على من تحتهم درجة فدرجة حتى تصل القسمة إلى الفقراء , فيصيب كلا نصيبه و فيهم شقي طريد خبيث بعيد , ينازع الملك و نوابه فلا يزعن لهم و لا يعظمهم , و لا يرى فضلا عليه لهم , و ما عنده قوت يومه فقير بائس , مسكين مفلس , لم يصل إليه من قسمة الأمراء إلا فلس واحد , مطموس كاسد , و هو يقول : أنا و الخليفة الأكبر كلانا سواء في المال و الملك لأنه إن أريد ملك الكل فليس للخليفة أيضا و إن أريد ملك البعض فأي خصوصية فيه للخليفة ؟ فإني أيضا أملك البعض , أليس في ملكي هذا الفلس الأسود الكاسد , فهذا الشقي الكفور , العائل المتكبر المغرور . لا شكر عطاء الخليفة و لا عظم منصب الخلافة و لا فرق بين الفلس الكاسد . و الخزائن العامرة المالئة وجه الأرض , من الشرق و الغرب بل و لا قدر الملك الجبار حق قدره , و استخف بعظم شأن خلافيه و أمره و فاستحق العذاب الوبيل و العقاب الشديد و النكال المديد , فالملك هو الله سبحانه و تعالى و خليفته الأكبر محمد ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ و النواب و الأمراء , الأنبياء و الأولياء عليهم الصلاة و السلام, نحن الفقراء المتكففون منهم الساب البعيد , هو ذلك العائل الطريد , العنود اللدود المريد , نسأل الله العفو و العافية . و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم .

يا مسلم ! حماك الله أ تظن الأخر اللئيم جاهل ذلك الفرق العظيم , حاش لله بل دار و لأنكار فضل رسول الله ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ داري له . فإن شئت أن ترى حقيقة ذلك

فأته و خاطبه بقولك يا مساوي الكلب و الخنزير , في العلم و التوقير , ستراه يحترق غيظا , و يكاد يموت غنظا , فسله هل أحطت بكل شيئ علما كمثل الله سبحانه و تعالى ؟ فإن قـال : نعم فقد كفر و إن قال , لا فقل لا : أي خصوصية لك في العلم ؟ فإن العلم ببعض الأشـياء حاصل لك و لكل كلب و خنزير , فمالك تسمى عالما دون نظرائك الكلاب و الخنـازير , و هكذا حال التوقير , فليس لك كل الوقار و لم تخل الكلاب و الخنازير عن بعضه لأن الكفار أذل و أوضع قدرا منها .

قال الله تعالى : ﴿ أولئك هم شر البرية﴾ "6/98" .

فعند ذلك يؤمن بالفرق بين القليل و الكثير فضلا عن فرق الإصالة و التطفـل و العطـاء و التكففف , فإن الكلف لم يتعلم منه و الخنزير لم تتطفل عليه بخلاف علمـاء (في البواقيـف و الجواهر في عقائد الأكابر للإمام الشعراني في المبحث الثالث و الثلاثين : فإن قلت هل ثم أحـد من البشر ينال في الدنيا علما من غير واسطة محمد ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الأحد و تسعين و أربعمائة : ليس أحد ينال في الدنيا إلا و هو مـن باطنية محمد ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ سواء الأنبياء و العلماء المتقدمون على مبعثه و المتأخرون عنه و أطال في ذلك كما تقدم بسطه في المبحث قبله .

قلت : و لا مفهوم لقول السؤال من البشر و لا لقوله في الدنيا فإنه ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ هو الخليفة الأكبر و القاسم المطلق فلا تصل لأحد من الخلق دينا و أخرى نعمـة إلا على يده ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ كما نص عليه الأكابر و سردنا نصوصه في كتابنا "سلطنة المصطفى في ملكوت الورى" .) العالم , فإنما وصل إليهم ما وصل من العلوم بإمداد محمد ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ كما قال تعالى : ﴿ لتبين للناس مـا نـزل إلـيهم﴾ "44/16"

و قد سمعت قول البوصيري في البردة :

و كلهم من رسول الله ملتمس

إلى أخر البيتين الموردين في الخطبة و الحمد لله رب العالمين .

و يكفر من احتقر علمه ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ قائلا : إن اطلع أن النبي ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ على بعض المغيبات فبم يمتاز عن الخلق؟ و ما تخصيصه في هذا البعض؟ و ذلك فإنه كمثل هذا البعض يحصل عليه زيدا و عمرا بل يقدر الحصول على ذلك كل صبي و مجنون بل البهائم كلها يقدر الحصول على ذلك .

الأنبياء كلهم من سيدنا أدم إلى سيدنا عيسى ــ عليهم السلام ــ خلفاء للرسول ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ و منفذون لشريعته و ذلك طبقا لما رباهم الله بتربية ربانية خفية , كما أن الصحابة ــ رضى الله تعالى عنهم ــ كانوا خلفاء له ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ و بموجب إرشاده تمكنوا على ذلك المنصب الجليل أي الخلافة .

لقد فرض الله تعالى علينا اتباع النبي ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ و حبه [23] و من لم يعتقد هذا فله وعيد شديد و عذاب أليم .

ملامح الحب للرسول ـ صلى الله تعالى عليه و سلم ـ

نرى ملامح الحب للرسول ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ تظهر خلال الأشياء التالية :

- إتيان بما أمر النبي ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ و النهي عما نهانا عنه و اتباعه ــ عليه السلام ــ في قوله و فعله .
- تكرار اسم النبي ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ بالقلب و اللسان [24] و التشوق إلى زيارة حسنه ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ .
- تعظيمه ــ عليه السلام ــ بالقلب و اللسان و سائر أعضاء الجسم .

---

23 قال تعالى : ﴿ و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم و من يعص الله و رسوله فقد ضل ضلالا مبينا . ﴾ "الأحزاب : 36"

24 لأن المؤمن كلما مر على لسانه ذكر الله و رسوله حصلت له حلاوة الإيمان إذ قال الرسول ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ : ثلاث من كنا فيه وجد حلاوة الإيمان ....

- إظهار الحب لأهل البيت الأطهار و الصحابة ـــ رضى الله تعـــالى عنـــهم ـــ البغض و الكراهة عمن كرههم[25] .
- إظهار الكراهة عمن لا يتخلق بإخلاقه و آدابه و سننه ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ .
- احترامه ـــ صلى الله تعالى عليه و ســـلم ـــ حـــسبما يعـــرف في العـــرف العادات[26] .

إن النبي ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ أرسل إلى الخلق كافة[27] فحيثما توجد ربوبية الله تعالى بلغت إليه الدعوة المحمدية , و هو ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ وحيد في دعوته العامة و فريد في كونه أول المخلوق , و لا يشاركه أحد في ختم نبوتـــه , و لا

25 ﴿قل لا أستلكم عليه أجرا إلا المودة في القربة و من يقترف حسنة نزد له فيها حـــسنا إن الله غفور شكور. ﴾ "الشورى : 23"...........................

26 ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي و لا تجهروا له بـــالقول كجهـــر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم و أنتم لا تشعرون . ﴾ " الحجرات : 2"
و في ذلك ذكر القاضي عياض المناظرة المشهورة فيما وقعت بين أبي جعفر و مالك في مسجد رسول الله ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ و إليك ما ذكر هنالك : ناظر أبو جعفر أمـــير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله تعالى أدب قوما فقال : ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾ و مدح قوما, فقال : ﴿إن الذين يغضون أصوتهم عند رسول الله ﴾ الأية ,و ذم قوما فقال : ﴿إن الذين ينادونك ﴾ الأية , و إن حرمته ميتا كحرمته حيا , فاستكان لها أبو جعفر و قال : يا أبا عبد الله أستقبل القبلة و أدعو أم أستقبل رسول الله ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ ؟ فقال : و لم تصرف وجهك عنه و هو وسيلتك و سيلة أبيك أدم ـــ عليـــه السلام ـــ إلى الله تعالى يوم القيامة ؟ بل أستقبله و استشفع به فيشفعه الله قال الله تعالى : ﴿ و لو أنهم إذ ظلموا أنفسهم ﴾ . " الشفاء بتعرتف حقوق المصطفى 41/2"

27 ﴿ و ما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا و نذيرا و لكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ " سبا : 28"

يباريه شخص في فضيلته المطلقة و بيده الخلافة الكبرى و هو أول من يؤذن له بالشفاعة[28] و الدخول في الجنة و هو أصل لكل فضل , و وسيلة بكل نعمة , هذا و في غير ذلك من الصفات التي لا يوجد له نذير فيها بل يستحيل نظيره و يمتنع مثله ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ

و قد كان جسم النبي ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ و ظاهره كجسم البشر و ظاهره و من هنا يطرأ عليه بعض العوارض البشرية [29] , و أما صفاته الروحانية أفضل من صفاته الظاهرة الجسمية و هي تتصف بأعلى الصفات الملكية , و تنزه عن العيوب و النقائص البشرية , و من هنا نضيف القول إلى أنه ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ كان عالما بالله تعالى و صفاته قبل بعثته و بعد البعث .

يجب على الإنسان المسلم تكريم الأثار النبوية الشريفة و توقير مخلفات السلف و من شعائر الإيمان الحقيقي أن يتصور المؤمن تلك الأثار رمزا لقبول الدعاء و وسيلة للإستجابة[30] .

---

28 قال النبي ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ : أنا قائد المرسلين و لا فخر , و أنا خاتم النبين و لا فخر , و أنا أول شافع و أول مشفع و لا فخر . راجع التاريخ الكبير للبخاري .286/4. و سنن الدارمي 40/1.

29 إن النبي ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ بشر في ظاهره و بالتالي يتعرض بما يتعرض منه البشر و النوع الإنساني من الآفات و الآلام و المصائب و أما بواطنه فمترهة أن ذلك. نقل القاضي عياض عن بعض المحققين قائلا : و هذه الطوارئ و التغيرات إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر و معاناة بني آدم لمشاكلة الجنس , أما بواطنهم فمترهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملأ الأعلى و الملائكة لأخذها عنهم و تلقيها الوحي منهم , و قد قال ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ :إن عيني تنامان و لا ينام قلبي . و قال : إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي و يسقيني . "الشفاء 179"

30 ....

قد ثبت أنه ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ أكثر الخلق علما و أكملهم معرفة, و قد يشمل علمه جميع ما كان و ما يكون , فلا يعترض أحد على هذا قائلا : إن هذه الصفة العلمية لا توجد لأحد ما سوى الله تعالى إذ أننا نلاحظ الفرق الكبير بين كلا النوعين من العلم و ذلك لعدة أوجه :

الأول : قد أثبتت لنا الشريعة الإسلامية أنه لا حد لعلم الله تعالى و لا نهاية له , فهو غير متناه بالفعل و محيط على جميع العلوم , و أما علمه ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ متناه بالفعل و غير متناه بالقوة و يدخل تحت علم الله تعالى .

الثاني : إنه تعالى عليم بالذات دون وسيلة أو واسطة , و علمه أزلي و أبدي . و أما علمه ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ عن طريق الوحي و الإلهام و الكشف و الرؤيا الصادقة و بواسطة الحواس , و فوق كل ذلك أن علم الله تعالى قديم , و علمه ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ حادث .

كل ما أخبر به النبي ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ صادق و ثابت لا يتطرق إليه شك و لا وهم و لا جهل[31] , و هو ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ معصوم عن الكبائر و الصغائر [32] و القبائح البشرية العامة , و ذلك قبل البعثة و بعد البعثة , و مما وقع

31 ﴿هو الذي أرسل رسوله الهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون. ﴾
... ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ ...

32 قال العلامة فضل رسول البدايوني نقلا عن الإمام القاضي عياض : و الحق عصمة الأنبياء ــ عليهم السلام ــ عن الجهل بالله تعالى و صفاته و عن كونهم على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا و إجماعا , و قبلها سماعا و نقلا , و بشيء مما قرره من أمور الشرع و أدوه عن ربه عزوجل من الوهم عقلا و شرعا , و عن الكذب و خلف القوم منذ نبأهم الله تعالى و أرسلهم قصدا أو عن غير قصد و استحالة ذلك عليهم شرعا و عقلا و إجماعا و برهانا , و تنزيههم عنه قبل نبوة قطعا , و تنزيههم عن الكبائر إجماعا , و عن الصغائر تحقيقا و عن استدامة السهو و الغفلة توفيقا , و استمرار الغلط و النسيان عليهم فيهما شرعوا لأمتهم قطعا .. (راجع المعتقد المنتقد ص 110)

السهو منه ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ في بعض الأحكام الشرعية [33] كان ذلك بإرادة الله سبحانه و تعالى و ذلك لحكمة بالغة ألا و هي : التشريع الإسلامي و إفادة العلم للناس , و لا يعد هذا مخالفا للمكانة النبوية و ذلك فإن هذا القسم من السهو و الذهول قد يقع من البشر بسبب الاستغراق في نور الله تعالى , و هذا من الشرف و الكمال لا من النقص .. إلا أنه من يزعم سهوه ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ كسهونا و يراهما بعين واحدة إظهارا للإهانة و إهدارا للكرامة فقد يكفر ..

إن الأنبياء قد يتعرضون العوارض البشرية كالأمراض الجسدية كما يتعرض الإنسان العامي بأنواع من البلاء و المرض و لكننا – نظرا إلى الأثار و النتائج – نلاحظ فرقا واضحا بين ما يتعرض منه الأنبياء و ما يتعرض منه الإنسان العامي , و ذلك أن هناك حكمة خفية عالية في ما يتعرض منه الأنبياء و هي مثلا : الصبر على البلاء , و الشكر في جميع الأحوال و الرضاء لما قدر لهم و التوكل على ما عليهم , و التفويض , و الدعاء , و الإلحاح , و التضرع , و التعليم لعامة الناس , و من هنا اتضح الفرق بين أمراضنا و أمراض الأنبياء , و يكفر من يسوي بين كلا النوعين من الأمراض قاصدا و راء ذلك التحقير و الإهانة للأنبياء ــ عليهم السلام ــ .

و قد نصت الأيات القرانية و الأحاديث المتواترة [34] على أنه ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ مطلع على المغيبات و يعرف عن الله تعالى عما لا يعرفه عامة الناس , و من أنكر هذا فكأنه أنكر مما هو مقطوع به .

---

33 ....

34 قال تعالى : ﴿ و ما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء﴾ ."آل عمران : 179" ﴿ و علمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيما ﴾ " النساء : 113"

و أما الأحاديث النبوية ففيها هذا الباب كثيرة , و على سبيل المثال أخرج الإمام البخاري من حديث عمر بن الخطاب ــ رضي الله تعالى عنه ــ قال : قام فينا النبي ــ صلى الله تعالى عليه

و هو ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ حي في قبره الشريف كالأنبياء الأخرين[35] و له حياة حقيقية جسمانية و بمنح الله تعالى يطلع على أحوال الأمة و يعرف من يحضر إلى روضته الشريفة , و من هنا يقول العلماء : إن زيارة روضة النبي ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ تعد من أعظم القربات , و لا ينكرها إلى المبتدع .

منح الله سبحانه و تعالى لنبيه المعجزات التالية :

و سلم ــ مقاما فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم و أهل النار منازلهم . (راجع البخاري 1/00 باب ما جاء في قول الله تعالى " و هو الذي يبدء الخلق " .

و أخرج الإمام المسلم من حديث عمر بن أخطب الأنصاري ــ رضي الله تعالى عنه ــ في خطبه ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ من الفجر إلى الغروب , و فيه : فأخبرنا بما كان و بما هو كائن فأعلمنا أحفظنا . (راجع صحيح مسلم , كتاب الفتن و أشراط الساعة .. /...)

35 قال الرسول ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء.

أخرجه أبو داؤد في سننه , باب تفريع أبواب الجمعة 1/ 150, و النسائي في كتاب الجمعة 204/1,في سننه باب ما جاء في فضل الجمعة 1/77, و أحمد بن حنبل في مسنده ...../.... و ابن خزيمة في صحيحه .... /...... و ابن حبان في صحيحه ... / ... و الدار قطني في سننه ..../.... و الحاكم في المستدرك ..../..... و قال : صحيح على شرط الشيخين. و الحافظ المنذري في الترغيب و الترهيب .../... و قال حسن . كلهم أخرجوا من حديث أوس بن أوس ــ رضي الله تعالى عنه ــ .

ذكر الشوكاني في نيل الأوطار 108/5 قائلا : في الحديث الصحيح الأنبياء أحياء في قبورهم . صححه البيهقي و ألف في هذه المسألة جزأ.. و قال في 3/ 282 : و الأحاديث فيها مشروعية الإكثار من الصلاة على النبي ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ يوم الجمعة و أنها تعرض عليه ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ , أنه حي في قبره .. و قد ذهب جماعة من المحققين إلى أن رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ حي بعض وفاته , و أنه يسر بطاعات أمته , و أن الأنبياء لا يبلون مع أن مطلق الإدراك كالعلم و السماع ثابت لسائر الموتى .

- تشرفه ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ بالمعراج مع الروح و الجسد , و ذهابه في حالة اليقظة إلى بيت المقدس, و إمامة الأنبياء هناك , و من هنا إلى ما بعد السموات السبع و مشاهدته الجنة و النار [36] و رؤيته لأيات ربه الكبرى [37] .
- انشقاق القمر بيده [38] ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ .
- أنين الجزع في فراقه [39] ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ

---

36 قال تعالى ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بركنا حوله لنريه من أيات ربنا إنه هو السميع البصير . ﴾ "الإسراء : 1" يقول ابن كثير في تفسير هذه الأية : عن أنس بن مالك ــ رضي الله تعالى عنه ــ أن رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ قال : أتيت بالبراق و هو دابة أبيض طويل فوق الحمار و دون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه , قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطه بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبرئيل بإناء من خمر و إناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل : اخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء ... الحديث .../...

37 و قال تعالى : ﴿ لقد راى من أيات ربه الكبرى ﴾ " النجم .../... "

38 عن ابن مسعود ــ رضي الله تعالى عنه ــ قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم ــ فرقتين , فرقة فوق الجبل , و فرقة دونه , فقال رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ : أشهدوا .. الحديث رواه ....

39 قال جابر بن عبد الله ــ رضي الله تعالى عنه ــ : كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار .. و في رواية أنس : حتى ارتج المسجد بخواره . و في رواية سهل : و كثر بكاء الناس لما رأو به . و في رواية المطلب : و أبي حتى تصدع و انشق حتى جاء النبي ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ فوضع يده عليه . (راجع الشفاء 304/1)

- تسليم الحجر و الشجر عليه ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ و تصديقهما من نبوة [40]
- سيلان الماء من أصابعه الشريفة و سقاء الجيش بكوب واحد [41]

---

40 عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ : لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الأن . (راجع دلائل النبوة للحافظ إبن كثير ص186)

عن علي ابن أبي طالب قال : كنت مع النبي ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل و لا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ... (راجع السابق ص 187)

41 عن جابر بن عبد الله قال النبي ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ : يا جابر ناد بوضوء, قلت : ألا وضوء , ألا وضوء , قال : قلت يا رسول الله ما وجدت في الركب من قطرة, قال و كان رجل من الأنصار يبرد لرسول الله ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ الماء في أشجاب له على حمارة من جريد , فقال لي انطلق إلي فلان الأنصاري , فانظر هل في أشجابه من شيء ؟ قال : فانطلقت إليه فنظرت فيها فلم أجد فيها إلا قطرة في عزلاء شجب منها , لو أني أفرغه لشربه يابسه , فأتيت رسول الله ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ فقلت يا رسول الله لم أجد فيها إلا قطرة في عزلاء شجب منها , لو أني أفرغه لشربه يأبسه , قال : إذهب فأتني به فأتيت به فأخذه بيده فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو و يغمزه بيديه ثم أعطانيه فقال : يا جابر ناد بجفنة, قال : فقلت : يا جفنة الركب , قال فأتيت بها تحمل فوضعت بين يديه, فقال رسول الله ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ بيده هكذا فبسطها في الجفنة , و فرق بين أصابعه, ثم وضعها في قعر الجفنة , و قال : خذ يا جابر . فصب علي و قل بسم الله فصببت عليه و قلت : بسم الله , فرأيت الماء يفور من بين (أصابع رسول الله ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ) ثم فارت الجفنة و دارت حتى امتلأت , فقال : يا جابر ناد من كان له حاجة بماء , قال : فأتى الناس فاستقوا حتى رووا, قال : فقلت هل بقي أحد له حاجة , فرفع رسول الله ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ يده من الجفنة و هي ملأى . (راجع دلائل النبوة للبيهقي 10/6)

- البركة في الطعام حتى شبع الألاف من الناس [42]
- تكلم الشاة المذبوحة منه ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ [43]

42 عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال أبو طلحة لأم سليم لقد سمعت صوت رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ ضعيفا أعرف فيه الجوع , فهل عندك من شيء؟ فقالت : نعم , فأخرجت أقراصا من شعير , ثم أخذت خمارا لها فلفت الخبز ببعضه ــ زاد يحي : ثم دسته تحت ثوبي و ردتني ببعضه, ثم اتفقا , قال : ثم أرسلتني إلى رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ قال : فذهبت به فوجدت رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ جالسا في المسجد , و معه الناس, فقمت عليهم , فقال رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ أرسلك أبوطلحة ؟ فقلت : نعم , فقال رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ لمن معه قوموا , قال فانطلق و انطلقت بين أيديهم , حتى جئت أبا طلحة , فأخبرته فقال أبو طلحة يا أم سليم لقد جاء رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ بالناس و ليس عندنا ما نطعمهم , فقالت : الله و رسوله أعلم , قال : فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه و سلمــ فأقبل رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه و سلمــ معه حتى دخل فقال رسول الله هلمي ما عندك يا أم سليم فأتت بذلك الخبز , فأمر به رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه و سلمــ ما شاء الله أن يقول , ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم , فأكلوا حتى شبعوا , ثم خرجوا ــ زاد قتيبة : ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا , ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة , فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا , ثم قال : ائذن لعشرة , فأكل القوم و شبعوا و القوم سبعون أو ثمانون رجلا ......
(راجع البخاري , فتح الباري 570/11)

43 عن كعب بن مالك قال : عن أبي هريرة ــ رضى الله تعالى عنه ــ أن يهودية أهدت للنبي ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ بخيبر شاة مصلية سمتها فأكل رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ منها و أكل القوم فقال : إرفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة ...
(راجع الشفاء بتعريف حقوق المصطفى 316/1)

هذا و هناك معجزات كثيرة و خوارق عديدة ثبتت بالأحاديث النبوية ــ كإحياء الموتى ــ مما يجب على كل مسلم تصديقها دون تأويل أو ريبة فيه, ذلك أن تلك المعجزات صادقة و واقعة بالفعل من النبي ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ

و من أهم و أعظم المعجزات للنبي ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ هو القران الكريم فإنه معجزة بكل تراكيبه اللفظية و المحاسن المعنوية و الأخبار الغيبية لم يستطع أحد و لن يستطيع على الإتيان بمثله [44] .

ما جاء به النبي صلى الله تعالى عليه و سلم

أوحى الله تعالى إلى نبينا المصطفى ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ و للوحي غير واحد من الأقسام منها ما أوحي إليه ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ بوساطة الملك, و هناك قسمان أخران لا علاقة لهما بالملك [45] .

إن القران الكريم جاء به الملك جبريل [46] إلى النبي ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ و هو كلام النفسي القديم الأزلي الأبدي المكتوب في المصاحف و المقروء بالحروف و الأصوات .

---

44 قال رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ ما من الأنبياء نبي إلا و قد أعطى من الأيات ما مثله عليه البشر و إنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله تعالى إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة . (راجع البخاري ....)

45 نطقت أحاديث كثيرة في كيفية الوحي و على الجملة الأولى منها : أن يأتي الملك في مثل صلصلة الجرس . الثانية : أن ينفث في روع النبي ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ الكلام نفثا . الثالثة : أن يأتي إليه في صورة الرجل فيكلمه . الرابعة : أن يأتي إليه الملك في النوم . الخامسة : أن يكلمه الله تعالى إما في اليقظة أو في النوم .

46 قال تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ ﴿ على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ ﴿ بلسان عربي مبين ﴾ (.................)

و أما الأحاديث القدسية مما وردت بأسانيد صحيحة هى عبارة عن وحي إلهي أوحى إلى النبي ـ صلى الله تعالى عليه و سلم ـ بواسطة مرة و بلا واسطة مرة أخرى . و مما ثبت بطريق قطعي من القران الكريم و الحديث القدسي صادق لا مرية فيه , و من أنكر شيئا ما منه بعد العلم الثبوت القطعي يكفر و إن كان المنكر مؤلا لا يلتفت إلى تأويله , و أما ما ثبت بالظن أو دلالته ظنية فإنكاره دون سبب بدعة و فسق .

يجب علينا أن نؤمن بالبعث [47] و حشر الأجساد مع الروح [48] و جزاء الأعمال الصالحة و العقاب ما ارتكب من المعاصى .

و أن نؤمن بالصراط [49] و هو جسر ممدود على متن النار يمر به الناس جميعا فمن كان من أهل النار يقع فيها و من كان من أهل الجنة يقطعه فيدخل في الجنة .

و أن نؤمن بالميزان و ما يوزن فيه من الحسنات و السيئات [50] .

و أن نؤمن بالجنة و النار باعتبارهما مخلوقتان يعلم الله تعالى مكانهما [51] .

و أن نؤمن بشفاعة النبي النبي ـ صلى الله تعالى عليه و سلم ـ لأهل الكبائر [52]0

47 قال تعالى : ﴿ ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ ﴿كما بدأكم تعودون ﴾ ﴿الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون ﴾ ﴿ما خلقكم و لا بعثكم إلا كنفس واحد ﴾ (...............)

48 قال تعالى ﴿و نحشر المجرمين يومئذ زرقا ﴾ (............) و قال النبي ـ صلى الله تعالى عليه و سلم ـ إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلا ....

49 قال تعالى : ﴿ فاهدوهم إلى صراط الجحيم ﴾ ﴿ و قفوهم إنهم مسئولون ﴾ (..........)

50 قال تعالى : ﴿ و نضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ (............)﴿و الوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾ ﴿ و من خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بأياتنا يظلمون ﴾ (................)

51 قال تعالى : ﴿ تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا ﴾ (مريم : 19) ﴿و كذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار ﴾ (غافر : 40)

52 قال النبي ـ صلى الله تعالى عليه و سلم ـ شفاعتي لأهل الكبائر أمتي (.....)

و أما الأية اللتي تدل على عدم شفاعته النبي ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ فليست هي على إطلاقها و إنما هي مقيدة لمن لا يؤذن الله تعالى لشفاعته .

و أن نؤمن بأن نعيم القبر ثابت للمؤمن و عذابه صادق للكافر المشرك [53] و أما أحوال العصاة من المؤمنين فهي تتعلق بإرادة الله تعالى و مشيئته إن شاء عذبه و إن شاء غفرله .

و أن نؤمن بسؤال المنكر و النكير للموتى عن التوحيد و الإسلام و نبوة سيدنا محمد [54]ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ

و أن نؤمن بأن من أرسل إلينا من الأنبياء و الرسل فهم صادقون.و أن نؤمن بكل ما نزل من الصحف على الأنبياء ــ عليهم السلام ــ [55]

---

53 قال تعالى : ﴿ النار يعرضون عليها غدووا و عشيا ﴾ ﴿و يوم تقوم الساعة أدخل أل فرعون أشد العذاب ﴾ (..........)

54 عن أنس ــ رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم قال : إن العبد إذا وضع في قبره و تولى عنه أصحابه و أنه يسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا النبي محمد ؟ و أما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله و رسوله فيقال له أنظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة , قال النبي صلى الله تعالى عليه و سلم : فيراهما جميعا, و أما الكافر أو المنافق فيقول : لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس فيه , فيقال لا دريت و لا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين .

و في رواية : يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله , و ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام, فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ....

55 قال تعالى : ﴿ أمن الرسول بما أنزل من ربه و المؤمنون كل أمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله لا نفرق بين أحد من رسله و قالوا سمعنا و أطعنا غفرانك ربنا و إليك المصير ﴾ (البقرة ....)

و أن نؤمن بإن الملائكة [56] عبارة عن حسم لطيف من النور و لا يطـرأ علـيهم العوارض الإنسانية , و لهم مقام معلوم في السماء [57] , و لكل منهم وظائف خاصة فمنهم في سماء الدنيا , و منهم من يشتغل بكتابة أعمال بنى أدم , و منهم من يلقى في قلوب الناس خطرات صالحة , و منهم من يحافظ الإنسان .

و من جانب أخر خلق أخر يطلق عليه الشياطين فهم يلقون في قلـوب الإنـسان الأوهام الفاسدة .

و أن نؤمن بأن سيدنا المهدي رضى الله تعالى عنه سيظهر على وشك القيامة [58] , و كما أن سيدنا المسيح عليه السلام يترل من السماء فيقتل الـدحال و الخنـازير [59] , ثم تكون الغلبة في أرض الله لدين الله واحد .

56 قال الرسول ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ : خلقت الملائكة من نور و خلق الجان من نار و خلق أدم مما وصف لكم (مسند أحمد و صحيح مسلم)

57 قال تعالى : ﴿ و لهم منا مقام معلوم ﴾ (.....) و قال تعالى : و ﴿ و ترى الملئكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم و قضى بينهم بالحق و قيل الحمد لله رب العالمين . ﴾ (المؤمن : 75)

58 عن ابن مسعود قال النبي ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ... حتى يبعث الله فيه رجلا منى أو من أهل بيت .. اسمه إسمى و اسم أبيه اسم أبى . (رواه الترمذى)

59 عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم : و الذي نفسي بيده ليوشكن أن يترل فيكم ابن مريم صلى الله عليه و سلم حكما مقسطا فيكسر الصليب و يقتل الخترير و يضع الجزية , و يفيض المال حتى لا يقبله أحد . (مسلم 77/1)

الاجتهاد و التقليد في الإسلام

للاجتهاد في الإسلام مكانة مرموقة[60] و رجال خصصهم الله تعالى لهذه المهمة العظيمة فعلى العامي أن يتقلدهم في الأحكام الفرعية غير المنصوص من هنا جعلت له شروط و هي :

أن يكون المجتهد عالما بأيات الأحكام , و بصيرا بالأحاديث التي تتعلق بالأحكام , عارفا باللغة و الأدب و النحو و الصرف و المعاني و البيان , مطلعا على مذاهب السلف , خبيرا بالقياس و أصوله , و علاوة لذلك تمتاز شخصية المجتهد في الزهد و الورع و لا يتبع هواه فيما يجتهد و يستنبط .

من اتصف بالشروط المذكورة أعلاه و ترى ملامح تلك الشروط في أثاره الإجتهادية و استنباطاته الفقهية و يكون متحليا بالأخلاق الكريمة الفاضلة لدرجة يحترمه عامة الناس و خواصهم و يعترفون بتفوقه العلمي من اتصف بهذه الأوصاف فهو مجتهد في المنظور الإسلامي و له حق الاجتهاد , و من لم يتحلى بتلك الأوصاف و الأخلاق و الشروط المذكورة فليس له حق الاجتهاد و إن كان عالما و عليه أن يتقلد أحدا من الأئمة المتبوع بمذاهبهم .

---

60 و الدليل على ذلك أن النبي ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ عندما بعث معاذا إلى اليمن قال: بما تقتضي يا معاذ ؟ قال : ....أجتهد برأي .

وقال ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ إذا اجتهد الحاكم و أخطاء فله أجر و إن أصاب فله أجران .

و لقد اعترفت الأمة الإسلامية بالتفوق العلمي للأئمة الأربعة[61] و أخذت احتهاداتهم بعين الاعتبار , كما اعترفت بأنه لم يوجد لهم نظير في عهدهم و لا بعدهم , و تأتى على رأس هولاء الأئمة إمامنا الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي , و قد كان

61 الإمام أبو حنيفة (80هـ/150 هـ): هو الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت زوطاه بن ماه , فقيه العراق و صاحب المذهب المقضى به حاليا في معظم الدول الإسلامية و أول من فتق الفقه , و فصل فصوله و أقسامه و ميز مسائله و رتب قياسه , و مدحه كثير من العلماء حتى قال الشافعي الناس عيال لأبي حنيفة . و له ترجمة مفصلة في الكتب المشهورة المعتمدة .

الإمام مالك (195هـ / 179هـ): هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك الأصبحي , ولد بالمدينة المنورة و نشأ بها , و تفقه و تعمق في علوم الدين حتى صار حجة في الحديث و إماما في الفقه يعمل بأرائه ألاف من المسلمين في أنحاء العا لم , و له كتاب مشهور في الحديث " المؤطأ" و هو إساس المذهب, تنظر ترجمته في كتب التاريخ المشهورة ..

الإمام الشافعي (150هـ / 204هـ) : أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن العثمان بن شافعي بن السائب القرشي المطلبي , عا لم قريش و فخرها , و إمام الشريعة و حبرها , نشأ الشافعي بمكة و تعلم فتفقه حتى صار نادرة الدنيا ذكاء و حفظا , و حفظ المؤطأ للإمام مالك , و أفتى و هو ابن خمس عشرة سنة , و استنبط مذهبه من القران و الحديث و القياس و الإجماع , و كان أفضل من رأى الناس ذكاء و حفظا و عقلا و فصاحة لسان و قوة حجة , و له المذهب المتبوع في العا لم , توفى الشافعي في القاهرة و دفن هناك . و ضريحه مشهور يزار , و لقد تشرفت غير مرة بزيارة مقبرته و قرأت الفاتحة عليه , فكم كنت ذاحظ و سعادة حين ما كنت أحضر إلى روضة إمام كان يحضر إلى إمام أخر ...

الإمام أحمد بن حنبل (164هـ/ 241هـ) : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني , ولد ببغداد و نشأ بها , طلب الحديث و كثرت رواته و عرفت ثقاته , و جاب الأقطار الإسلامية في تلقيه و جمعه حتى حفظ ألف ألف حديث و هو من أصحاب الشافعي و صفوة تلاميذه , و قد قال فيه و هو راحل إلى مصر : خرجت من بغداد و ما خلفت بها أتقى و لا أفقه و لا أزهد و لا أورع و لا أعلم من ابن حنبل . و هو صاحب المذهب الفقهي المشهور , راجع ترجمته المفصلة إلى كتب الفهارس و التراجم .

عدد كبير لمن تخرج على يد الإمام و تقلده , فأصبحوا رمزا للعلوم الإسلامية و الفقه الإسلامي , و هم الذين قاموا بجمع و تنقيح أصول الإمام و فروعه التي أصبحت ــ فيما بعد ــ قانونا للأمور المستحدثة و دستورا للمستجدات العصرية , و يجيء على رأس هولاء التلاميذ و المقلدين الإمام أبو يوسف و محمد[62] ــ رحمهما الله تعالى ــ فخالفوا الإمام في بعض الأراء الفقية و رجحوا البعض المشتهرة , كما أن الإمام سمح لهم بتفرع المسائل معتمدا على الأصول و القواعد التي وضعها هو ــ الإمام ــ و بالتالي اشتهر الإمامان الجليلان أبو يوسف و محمد و من كان معهما في درجتهما اشتهروا "بالمجتهد في المذهب "[63].

ثم توسعت الدولة الإسلامية , و تجددت الحوادث فأوجد الزمان أعلام الإسلام في سماء الفقه الإسلامي منهم الإمام أبو جعفر الطحاوي , و أبو الحسن الكرخي , و شمس الأئمة الحلوائي, و فخر الإسلام البزدوي , فخر الدين القاضي خان[64] , فاجتهدوا هؤلاء في المسائل المستحدثة في ضوء الأصول و الفروع الحنفية , و أطلق على هذه الطبقة "المجتهد في المسائل" [65].

و من جاء بعدهم شرح الله صدورهم و أوسع علمهم فأصبحت لهم قدم راسخة في الأصول و الفروع فرؤا أن المرويات عن الإمام أو أحد من أصحابه تحتمل عدة معان أو تأتي في إطار المبهم أو المجمل , و من هنا توجهوا إلى توضيح المبهم و تفصيل المجمل و

62 ....

63 المجتهد في المذهب : من هو قادر على استخراج الأحكام من الأدلة على مقتضى القواعد التي قررها الإمام المجتهد المطلق كأبي يوسف و محمد و أصحاب أبي حنيفة الأخرين . (حاشية ابن عابدين 77/1)

64 ....

65 المجتهد في المسائل : من اجتهد في مسئلة لا يوجد النص فيها عن صاحب المذهب كالخصاف و أبي جعفر الطحاوي و غيرهما ...

تصريف المحتمل إلى محامل حسنة , و من أعظمهم الإمام العلامة أبو بكر أحمد بن علي [66] , و قد اشتهرت هذه الطبقة " بأصحاب التخريج" [67] .

و نظرا إلى تنوع الأراء و اختلاف الأقوال احتاج الزمان إلى قوم ينظر في تلك الأراء و يرجح بعضها على البعض , فجاءت الطبقة الخامسة و قام بهذا العمل خير قيام , و عرفوا "بأصحاب الترجيح" [68] .

و من بعدهم جاء رجال وهبهم الله تعالى ذكاء نادرا و نظرة فاحصة فاستطاعوا التفريق بين الأقوى القوي الضعيف و الظاهر المرويات النادرة , و قاموا بالتوضيح و التفريح بين تلك المسائل و تنقيحها ثم قيدوها في الكتب , و من هؤلاء صاحب الكنز , المختار , و المجمع [69] .

و من جاء بعدهم قد اعتمدوا على مؤلفات أولئك العلماء المذكورين و ذلك فإن الكتب المذكورة قد تحتوي على مرويات الطبقات الأربعة القوية و هي ثقة عند جميع علماء الأحناف , فبالتالي لا ينبغي لنا أن نغض طرفنا عن تلك المؤلفات .

و لقد اعتمد و لا يزال يعتمد علماء الأحناف على كتب المتون و الشروح و الفتاوى للمتأخرين التي أصبحت دستورا أساسيا و معمولا بها في الفقه الحنفي , فمن لا حظ له في الاجتهاد و عارض تلك الكتب و عمل ضدها قائلا : إننا إن تركنا العمل بالمؤلفات المذكورة فقد كانت لدينا ذخيرة متوفرة من الأحاديث النبوية , فمن عارض و قال هذا فكأنه زلت قدماه و تخطى إلى الضلالة .

---

66 ....

67 أصحاب التخريج : هؤلاء لا يقدرون على الإجتهاد أصلا لكنه أحاط على الأصول كالرازي و أضرابه.

68 أصحاب الترجيح : هم نخبة من المقلدين كأبي الحسن القدوري, و الهداية و أمثالهم .

69 هؤلاء عبارة عن جماعة من العلماء المقلدين القادرين على التمييز بين القوي و الضعيف و ظاهر المذهب و الرواية النادرة كأصحاب المتون المعتبرة من المتأخرين .

و قد بلغت المذاهب الأربعة و على وجه الأخص المذهب الحنفي إلى ذروة التحقيق و التنقيح , فكلما يحدث شيء نستطيع نحن العلماء المسلمين أن نرى , و لا تــزال الأمــة الإسلامية تستطيع أن ترى حلوله في تلك الفروع المستخرجة , أو نـــستخرج حكمــه في ضوء الأصول و الفروع التي قرروها .

و بعد هذا البحث الإجمالي نقول يجب على غير المقلدين اتباع إحــدا المــذاهب الأربعة المتقدمة في جميع المسائل فإن اعتمد على مذهب في مسئلة و على مذهب أخــر في مسئلة أخرى فلا يدخله هذا في إطار التقليد و إنما هو تلفيق بين المذاهب و التلهي بالدين , هذا حرام [70] .

لا يسمح لأحد من غير المجتهدين الذين ليست لهم دراية كافية في الحديث النبوي و ليست لهم قدم راسخة في الإجتهاد أن يستخرج المسائل من الحديث بدعوى الإجتهاد .

الخلافة و الولاية

تمتاز الشريعة الإسلامية بأشياء كثيرة كما أن لها ميزات و خــصائص و حــددت لكل شيء أصولا و قواعدا , من بينهم الخلافة و الولاية و قد جعلت للخلافة و الولايــة دراجات و مراتبة يمتاز بعضها عن بعض إذ تقول إن سيدنا أبا بكر الصديق و خليفة و ولي

[70] و الحق أقول: إن الأئمة المجتهدين كلهم على هداية من ربهم فمن كان متقنــا في العلــوم الإسلامية و هو يتقلد إحدى المذاهب الأربعة المتبوعة في عصرها ثم اضطر في مــسئلة مــن المسائل إلى اتباع مذهب أخر فقد أصاب , و هذا لا يعد تلفيقا كما ذهــب الأحنــاف في مسئلة المفقودة إلى اختيار مذهب الإمام مالك, هذا هو المذهب الصحيح المنقول من الفقهاء و العلماء و الصوفية , فإن كنت شاكا في هذا راجع كتاب "اليواقيت و الجــواهر" 90/2 للإمام عبد الوهاب الشعراني .

هذه الأمة بعد سيدنا الحبيب المصطفي ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ و تحطي بعد ذلك درجة الفاروق عمر ثم عثمان فعلي المرتضى [71] ـــ رضى الله تعالى عنهم ـــ .

مما نعرف إسلاميا أن هؤلاء يدخلون الجنة في الواقع : العشرة المبشرون بالجنة [72] , و السيدة فاطمة الزهراء [73] , و خديجة [74] , السيدة عائشة أم المؤمنين [75] , و سيدنا الحسن و الحسين [76] , و أصحاب بدر [77] , و الذين بايعوا تحت الشجرة [78] .

---

71 أخرج ابن عساكر في التاريخ 196/44 من حديث إصبغ بن نباتة قال : قلت لعلي : يـــا أمير المؤمنين من خير الناس بعد رسول الله ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ ؟ قال : أبـــو بكر . قلت : ثم من ؟ قال: عمر . قلت : ثم من ؟ قال : عثمان . قلت : ثم من ؟ قال : أنا ..

72 عن عبد الرحمن بن عوف أن النبي ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ قال : أبو بكر في الجنة, و عمر في الجنة , و عثمان في الجنة , و علي في الجنة , و طلحة في الجنة , و الزبير في الجنة , و عبد الرحمن بن عوف في الجنة , و سعد بن أبي وقاص في الجنة , و سعيد بن زيد في الجنة , و أبو عبيدة بن الجراح في الجنة . (رواه الترمذي , و ابن ماجة)

73 عن أم سلمة ـــ رضى الله تعالى عنها ـــ أن النبي ـــ صلى الله تعالى عليه و ســـلم ـــ دعـــا فاطمة يوم الفتح فناجاها فبكت , ثم حدثها فضحكت قالت فلما توفى رسول الله ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ سئلتها عن بكائها و ضحكها , قالت : أخبرني أن رســـول الله ـــ صلى الله تعالى عليه وسلم ـــ أنه يموت فبكيت , ثم أخبرني أني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران فضحكت .

(رواه الترمذي في المناقب)

74 عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : ما حسدت أحدا ما حسدت خديجة , و ما تزوجني رسول الله ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ إلا بعدما ماتت و ذلك أن رسول الله ـــ صـــلى الله تعالى عليه و سلم ـــ بشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه و لا نصب . (السابق)

75 عن عبد الله بن زياد الأسدي قال : سمعت عمار بن ياسر يقول : هي زوجته في الـــدنيا و الأخرة يعني عائشة ـــ رضى الله تعالى عنها ـــ .(السابق)

نؤمن بأن الصحابة ــ كلهم[79] و على وجه الأخص أصحاب بدر و البيعت هداة و نجوم زاهرة و بالتالي يجب على الأمة الإسلامية إكرامهم و توقيرهم فإنهم تشرفوا بصحبة النبي ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ و أصبحوا سادات الناس و أولياء الأمة , و قد ظهرت منهم أشياء كثيرة تعد خرقا للعادة[80] , هذا , و من غير ذلك لا تسمح الشريعة الإسلامية لأحد السب عليهم[81] و الطعن منهم فمن تطرق و تجاوز عن الحدود فلعنهم و طعن في كراماته فكأنه رافضي يدخل في النار.

---

76 عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة . (السابق)

77 أخرج الإمام البخاري من حديث علي رضي الله تعالى عنه ــ في قصة حاطب بن أبي بلتعة الطويلة ــ.. قال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق , قال : إنه شهد بدرا , و ما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال : إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . (البخاري , الجهاد و السير)

78 عن أم مبشر أنها سمعت النبي ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ يقول : عند حفصة لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها , قالت بلى , يا رسول الله ... (صحيح مسلم, المناقب)

79 قال تعالى : ﴿ لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر و المجهدون في سبيل الله بأموالهم و أنفسهم فضل الله المجهدين بأموالهم و أنفسهم على القعدين درجة و كلا وعد الله حسنى و فضل الله المجهدين على القعدين أجرا عظيما . ﴾ (النساء : 95)

80 و ذلك كما احتفظ التاريخ في صدره قصة جريان النيل بكتابة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إليه , و رؤيته الجيش في نهاوند , كما شرب خالد بن وليد رضى الله تعالى عنه السم و لم يتضرر به ..

81 عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم و لا نصيفه . (الترمذي في المناقب)

من تشرف ـــ من الصحابة ـــ بالإسلام قبل الفتح فهو أفضل درجة ممن أسلم بعد الفتح , و لكن الله تعالى وعد لكل منهم الحسن و رضى عن جميعهم .

الشرك بالله تعالى

الشرك و الكفر من أعظم البلاء للناس و إن نرى التغاير اللفظي بين كلتا الكلمتين إلا أنهما شيء واحد نظرا إلى المرد و النتيجة , فالمشرك و الكافر يدخلون النار, و لهم عذاب أليم دائمي[82] .

الشرك الحقيقي عبارة عن أن يعتبر الإنسان أن غير الإله واجب الوجود أو هو حدير بالعبادة .

و من إمارات الشرك أن يسوي العبد بين صفات ولي من أولياء الله ـــ كإزالة المصيبة و استجابة الدعاء و إلى ما ذلك ـــ و صفات الإله الخالق المعبود , بناء على ذلك يعامل مع العبد الوليد كالإله المعبود ـــ أعوذ بالله من هذا ـــ .

و مما نعرف أنه من مميزات الشريعة الصادقة أن تفرق بين صفات العبد و صفات الإله و أن لا يوجد فيها أثر من آثار الشرك , و هذا هو الغرض لإرسال الرسل و بعثة الأنبياء إلى الناس .

و أنبه هنا في هذا المقام أن الخرق للعادة التي تصدر من أولياء الله تعالى لها حقيقة واقعية و لا أستطيع أن أرفضها و ذلك فإنها مظهر من مظاهر قدرة الإله الخالق .

تتمتع الشرائع السماوية بالشفاعة و التقرب للعبد إلا أن العبد المتقرب إذا تخيل بعد الحصول على تلك الأوصاف بأنه أصبح صاحب القدرة الحقيقية و تمكن الرد على تصرفات الخالق الإله و المنع عما يفعله تعالى فهو شرك لا مرية فيه , و أما تفويض تلك

[82] قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك ﴾ (النساء : ..)

القدرة إلى الله تعالى و تسليمها إلى قدرته مؤمنا بأنه هو المفيض المانح الحقيقي لهذه الأوصاف و الدرجات أو القدرات فهو الإيمان الصحيح و العقيدة الحقة الصادقة .

كما أنه من الشرك بالله هو أن يعتبر الإنسان الخارق عن العادة للأولياء أو الإشراق الباطني لهم و إطلاعهم على المغيبات , يعتبر هذه الأشياء بأنها صفة ذاتية للأولياء , و حصلت لهم بدون العطاء الإلهي , و أما اعتبارها بتعليم الله تعالى إياهم يعد من الإيمان و التوحيد الخالص .

و قد قلنا إن لصفات العبد المتقرب حقائق ثابتة و من أنكرها على الإطلاق فقد يحكم عليه بالضلالة , و من اختار مسلك الاعتدال و الوسطية و رأى الحقوق معا ــ حقوق الله و حقوق العباد ــ فكأنه اختار الطريق المستقيم .

الكفر و الكبائر

الكفر هو عدم الإيمان بالله تعالى و رسوله[83] , أو الإيمان بهما و الإنكار ما جاء بالرسول ــ صلى الله تعالى عليه و سلم ــ , و أما الأحكام التي يجر إنكارها إلى الكفر تثبت بثلاثة الطرق التالية :

1ــ تثبت بمفهوم الأيات القرآنية قطعيا كما فهمه العرب .

2ــ تثبت بمعاني الحديث المتواتر القطعية طبقا لما فهمه العرب بمحاورتهم و لغتهم .

3ــ تثبت بإجماع المجتهدين القطعي .

فما ثبت بهذه الطرق الثلاثة يجب على كل مؤمن اعترفه بالقلب و اللسان, فمن أنكره و لا يسع إنكاره التاويل يصبح كافرا على الإطلاق بحكم الفقهاء , و من أنكره و هو مؤول ــ مع أن الحق واضح وجلي ــ فهو كافر .

ما علم من الدين بالضرورة فمن ينكره بالقول أو بالفعل يحكم عليه بالكفر.

---

83 قال تعالى : ﴿ و الذين كفروا و كذبوا بأياتنا أولئك أصحب الجحيم﴾ (المائدة : 5)

من يعبر الملائكة بالقوة الإنسانية , و يعبر القوة الفكرية للنبي ـــ صلى الله تعـــالى عليه و سلم ـــ بجبريل فقد يخالف النص القرآني و إجماع العلماء و ينكر مما علم من الـــدين بالضرورة بذلك يحكم عليه بالكفر.

نصت شريعتنا الإسلامية الغراء على تفاصيل البعث و حشر الأجساد و الإنعام في الجنة فلا بد علينا الاعتراف بتلك الأشياء دون تأويل ,و يكفر من أنكر ذلك .

نؤمن بأن النبي ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ بعث خاتما فمن أنكره و يبـــيح بعثة نبي أخر فقد يحكم عليه بالكفر , و كذلك يحكم بالكفر على من لا يـــؤمن باتبـــاع الأحاديث النبوية على الإطلاق .

و يحكم بالكفر على من عصى الرسول ـــ صلى الله تعالى عليه و سلم ـــ بالقول أو بالفعل أو خفف شأنه .

و يحكم على من يقول بأن القرآن محرف .

و يحكم بالكفر على من فضل غير الأنبياء على الأنبياء .

و يحكم بالكفر على من قام بتكذيب الله تعالى .

و يحكم بالكفر على من قال بأن الرد على عقيدة ضالة كفرية و على منكري ممـــا علم من الدين بالضرورة هو بمثابة إثارة الفتن و الفساد .